

قضية

نطرح تساؤلات
عن أسباب تراخي
مؤسسات الدولة
في مواجهة هذا
«الغزو» (أف ب)



لا يجد مثقف سوري ما يستشهد به على حجم تأثير الثقافة الدينية السعودية في حياة السوريين. وكثير من مواطني الدول العربية، إلا العودة بذاكرته قليلاً إلى الوراثة ليقول: ومته كنا نسهم القرآن لخير عبد الباسط عبد الصمد؟

محاولة سغودة السوريين: «غزوة» ما قبل الحرب

الدكتور شفيق عريش، أستاذ الإحصاء في جامعة دمشق، فإنه «من خلال تتبع حركة هجرة السوريين بحسب المعايير الحدودية وفقاً لبيانات إدارة الهجرة والجوازات، يمكن القول إن عدد السوريين الموجودين حالياً في السعودية يزيد على مليوني شخص، وبالتالي فإن تقديرات العمالة السورية هناك تخلص إلى وجود ما لا يقل عن 750 ألف عامل». وهذا رقم يبدو قريباً إلى الدقة، وخصوصاً مع التصريحات السعودية الرسمية التي أشارت إلى وجود مليونين ونصف مليون «لاجئ» سوري على أراضي المملكة، فيما هم في الواقع عبارة عن العمالة السورية التي مضت على وجودها في المملكة سنوات طويلة، إضافة إلى الجزء الذي تمكن من دخول المملكة بعد نشوب الأزمة. ونحو مزيد من الدقة يكشف الدكتور عريش أن بيانات إدارة الهجرة والجوازات التي اطلع عليها، وتغطي نحو أربع سنوات ونصف سنة من عام 2004 إلى عام 2008، تبين أن «عدد السوريين المهاجرين عبر المنافذ الحدودية وصل لنحو مليونين ونصف مليون شخص، منهم مليون وسبعمئة ألف خرجوا عبر معبر نصيب الحدودي، أي باتجاه دول الخليج، والجزء الأكبر ذهب إلى السعودية، ونحو سبعمئة ألف شخص خرجوا عبر المنافذ الحدودية مع لبنان، ونحو مئتي ألف عبر المطارات السورية».

قائمة الكتب المباعة في سوريا، وتنتشر عبر قنوات «جماهيرية» كعارض الكتب ودور النشر. ففي «معرض الكتاب السنوي» مكتبة الأسد الوطنية، دورة عام 2011، كانت الكتب الخاصة بالديانات الأكثر مبيعا، إذ مثلت مبيعاتها نحو 23 في المئة من إجمالي 23500 كتاب بيعت خلال تلك الدورة.

مليونان ونصف مليون

حالة الاسترخاء التي كانت تعيشها مؤسسات الدولة، في وقت كانت فيه ثقافات الآخرين تنخر في جسد المجتمع، تبلورت أكثر مع آلاف السوريين الذين قصدوا وعائلاتهم المملكة «الشقيقة» طلباً للعمل، أو لقضاء الفترة الزمنية التي تسمح لهم بدفع البدل النقدي للخدمة الإلزامية، فتأثروا بطريقة أو بأخرى بطريقة الحياة السعودية ونقائدها، من اللباس والمأكّل، إلى الأفكار والمعتقدات، وطريقة ممارسة الشعائر الإسلامية. وعندما عادوا بعد سنوات إلى قراهم ومناطقهم في الريف السوري، كان معظمهم محملاً بأفكار وسلوكيات، وجدت في ريف يعاني مشاكل تنموية مختلفة، تربة خصبة للانتشار والتأييد.

لا تتوافر حتى اليوم بيانات رسمية عن عدد العمالة السورية في السعودية، إلا أن التقديرات غير الرسمية تؤكد وجود ما يزيد على 300 ألف عامل سوري في المملكة قبل الأزمة، أي نحو المليون سوري إذا ما جرت إضافة عائلاتهم. وبحسب

حققت المنشورات الخليجية انتشاراً ملحوظاً في السوق قبل الأزمة

أيضاً في المجالات الفنية والثقافية والإعلامية.

وبغض النظر عن ماهية المحتوى الذي كانت تحمله المطبوعات الخليجية من صحف ومجلات ودوريات، جاداً وتنويرياً أم ترفيهياً ومتطرفاً، فإنها كانت تحقق خلال سنوات ما قبل الأزمة انتشاراً ملحوظاً في السوق السورية. وبحسب ما يؤكد مصدر خاص في «الشركة السورية لتوزيع المطبوعات»، فإن هذه المطبوعات كانت توزع ما يزيد على 100 ألف نسخة وبأسعار منافسة جداً، وهذا رقم يكاد يساوي رقم توزيع الصحف المحلية السورية. وعلى افتراض أن نسخة المطبوعة الواحدة يقرأها خمسة أشخاص، فهذا يعني أنه كان هناك نصف مليون سوري يتأثرون سلباً أو إيجاباً بما تنشره تلك المطبوعات.

وأكثر من ذلك، فإنه لسنوات طويلة ظلت الكتب الدينية، وقد كان جزء كبير منها يروج للفكر الوهابي، تتصدر

كانت تلحق بالقطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، جراء تلك العلاقات. وهنا يحضر مثلاً، الأول يتعلق بالخسائر الاقتصادية الكبيرة التي نجمت عن الإنفتاح السياسي الواسع على تركيا، ومعامل حلب أنموذجاً صارخاً على تلك الخسائر. أما المثال الثاني، وهو الأعمق والأقدم، فيتعلق بتأثير الثقافة الخليجية عامة، والسعودية خاصة، في حياة السوريين ومعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وصولاً إلى مرحلة يؤكد الكاتب محمد عيسى صاحب «دار نشر الجنايب»، أن «المقصود منها انتخاب بيئة اجتماعية، وتظهرها على أنها هي الأصل الحقيقي لسوريا»، مستشهداً بالمسلسل الدرامي الشهير «باب الحارة». وفي حديثه لـ «الأخبار» بحدود عيسى قنونات رئيسية عدة، تشرب من خلالها المجتمع السوري أشكالاً مختلفة من الثقافة السعودية. يشير إلى ظاهرة «القبسيات» التي ظهرت في التسعينات، ثم تدرجت الأمور باتجاه إنشاء مجموعة ضخمة من المطاعم والمنشآت السياحية التي تقدم الطعام الخليجي. وقد أحدثت قري سياحية بكاملها على طريق المطار». كذلك الأمر بالنسبة إلى سوق الدراما السورية، «إذ جرى تمويل العديد من الأعمال الدرامية. لا بل وصل بهم الأمر إلى فرض رأيهم على الدراما». مضيفاً أن «المسال السعودية، والخليجي عموماً، ساهم أيضاً في جذب العديد من الأدباء عبر المهرجانات الشعرية والجوائز الخليجية، وهذا ما حدث

زياد غصن

شهر واحد كان كافياً ليقلب حياة سكان قرية بكاملها. القصة بدأت فصولها في منتصف العقد الماضي، عندما كان باحثو مؤسسة أهلية للتنمية يجولون على قري الريف السوري لرصد مؤثراته الاقتصادية والاجتماعية، في سياق تنفيذ مشروع تنموي.

يروى باحث اقتصادي شارك في ذلك المشروع، أن ما لفت انتباهه في زيارته الثانية لإحدى القرى بريف إدلب، أن معظم نساء القرية أصبحن منقبات خلال شهر واحد فقط من زيارته الأولى. يسأل الباحث الشاب عن سبب هذا التحول المفاجئ والسريع، فتأته الإجابة من بعض أبناء القرية، أن ذلك جرى بتأثير من إمام المسجد الجديد، العائد حديثاً من العراق، بعد مشاركته في «الجهاد» ضد الاحتلال الأميركي.

هذه الحادثة، وغيرها الكثير، لم تكن تؤشر إلى طبيعة التحولات التي كانت تحفر عميقاً في ثنايا المجتمع السوري فقط، وإنما كانت تؤكد أيضاً أن كل ذلك كان يحدث من دون أن تبدي الدولة السورية بمؤسساتها الرسمية والأهلية أي مقاومة تذكر، سواء بمواجهة مثل هذه الحوادث، أو عبر مراقبة ودراسة العوامل والظواهر المؤثرة في ثقافة المجتمع، وتوجهاته الفكرية والدينية وسلوك أفرادها. لا بل إن سطوة العلاقات السياسية وأولوياتها، شجعت على «غض الطرف» عن السلبيات الكثيرة التي

الجيش يسترجع مدرسة «الحكمة» جنوبي حلب

زأخاروفا، ما مفاده أن موسكو «تدعم توجه دمشق نحو تطهير بؤرة الإرهاب» في سوريا، وجاء ذلك في بيان عقب لقاء جمع نائب وزير الخارجية الروسية، ميخائيل بوغدانوف، والسفير السوري لدى موسكو، رياض حداد.

ووفق البيان، فإن اللقاء، الذي بادر إليه الجانب السوري، تبادل الآراء حول الوضع الميداني السياسي والإنساني في سوريا، وكان التشديد على «ضرورة تفعيل الجهود السياسية لتحقيق السلم الأهلي في أقرب وقت ممكن». وكان المتحدث باسم الكرملين، ديمتري بيسكوف، قد أعرب، يوم



(أف ب)

أعربت موسكو عن أملها في استئناف المحادثات مع واشنطن

ومنطقتي الراشدين 4 و 5 وجنوب دارة عزة في حلب وريفها. على صعيد متصل، نقلت قناة «روسيا اليوم» عن المتحدث باسم وزارة الخارجية الروسية، ماريا

يزال متواصلًا. وفي حال تمكن الجيش من التقدم والسيطرة على حي الراشدين 4، ستكون ضاحية الأسد ضمن مرمى نيران الجيش، وتصير استعدادتها مسألة وقت. في هذا السياق، نقلت وكالة «سانا» الرسمية عن مصدر عسكري أن «وحدات الجيش بالتعاون مع القوات الريفية والحلفاء، تتابع تقدمها وملاحقة الإرهابيين باتجاه الراشدين 4»، في الوقت الذي نَقَذ فيه سلاح الجو السوري غارات على مواقع الجماعات المسلحة في مناطق خان العسل، وكفرناها، وأورم الكبرى والصغرى، شمال معراته،

تابع الجيش السوري وحلفاؤه تقدمهم على المحور الجنوبي الغربي لمدينة حلب، واستعادوا السيطرة على مدرسة «الحكمة»، جنوبي المدينة، التي شكّل سقوطها بيد مجموعات «جيش الفتح»، حينما أطلقوا «معركة فك الحصار» الأولى قبل أشهر، بداية لدخولهم محيط الكليات العسكرية (ومشروع 1070).

وتفتح السيطرة على محيط «الحكمة» المجال أمام الجيش وحلفائه لاستهداف منطقتي الراشدين 4 و 5 غرباً، مع تأكيدات مصادر سورية، أن الهجوم على جبهات جنوب غرب المدينة، لا